

سوزان الفقي

مقدمة:

أنا سوزان عبد المجيد الفقي، التي شاءت الأقدار أن أكون فرداً في عائلة العملاق رياض السنباطي ، وشاءت أن تضعني في مكانة تجعلني قريبة منه، زوجة ابنه القريب لقلبه محمد، وتتكرر جلساتي وأحاديثه معي، ويقرر أن يروي لي قصة حياته.

عرفته وهو في أواخر عمره، في فترة كان هو نفسه يعتبر أنه يخطو للنهاية، فقد فقد كل رفقاء مشواره وأهمهم رفيقة دربه أم كلثوم، وحين دخلت إلى حياته قال لي: "الحياة مستمرة فيكم أنتم الشباب، لن تتوقف برحيلي، أنت زوجة ابني وستأتيني بأحفاد يحملون اسمي وده هيمد في عمري و تستمر الحياة، وما أرويه لكِ عاوزك تحضيه وتحكيه لأولادك وأحفادك".

مسؤولية كبيرة لاستطيع أنا بشخصي المتواضع أن أنقل قصة حياة هذا العملاق الذي كان ينظر للفن بأنه رسالة للارتقاء بالشخصية وانتقالها إلى مستوى أعلى من الفهم، ويهضمه على تذوق الصعب والعميق من الشعر ومن الموسيقى.

لم أفك رغم مرور سنوات طويلة أن أكتب ما كان يرويه لي، فقد كان كل تفكيري أن أنفذ ما قاله وأحكيه لأولاده وأحفاده، ولكن عندما كنت أكتب بعض النبذات عنه على صفحات التواصل الاجتماعي، كنت ألتقي كلمات الإعجاب والاهتمام الكبير بحياة هذا العملاق، وكأنهم كانوا متشوقين بشدة لمعرفة أي شيء عن حياته، وأن يتعرفوا على شخصية من أبدع هذه الألحان، وهو منعزل في برجه العاجي، لا يعرف أحد عنه إلا القليل، وكأنني فتحت لهم بابا كانوا يتطلعون لفتحه، ولذلك، ولهذا السبب، ولما لمسته من حب

واهتمام وتقدير من محبيه، بل من عاشقيه، والذين كانوا هم دائماً المساندين والمشجعين له ولفنه رغم صعوبته، فكانوا هم الأهم له، هذا إلى جانب تشجيع زوجي للقيام بهذه المهمة الصعبة، فقد قررت أن عشاقه ومحبيه لهم الحق في أن أروي لهم أيضاً، كما كنت أروي لأولادي سيرته الذاتية، وأدعوا الله أن أوفق في هذه المهمة الصعبة، وأن تكون على قدر ولو قليل، يتناسب مع قدر هذا العملاق، وأنا لم يسبق لي أن خضت تجربة الكتابة، وتجربة مهمة وصعبة مثل هذه من قبل.

المعروف عدم وجود أي معلومات عن هذا العملاق الذي كان يعيش في عزلته ولا يسمح لأحد أن يقترب منها، قال لي بعد بعض الجلسات التي تعرف فيها عليًّا أكثر، كما عرفته أنا أيضاً كإنسان قال لي في إحدى هذه الجلسات وعلى غير توقع :

"أنا سعيد بأن أحكي قصة حياتي لزوجة ابني الحبيب محمد، محمد ابني اللي كافح وصمم على إكمال تعليمه، واستطاع أن يحقق حلمه، ويصبح مهندس طيران، أنا شايف إن ده شيء عظيم، ولذلك أنا باحترمه وباعزه مش علشان هو الولد اللي جالي بعد تلات بنات فقط، لا علشان راجل قد المسؤولية، وإنك غلاوتك من غلاوته، كان يخطر بيالي أحياناً أن أكتب مذكراتي، لكن لم يكن عندي دافع قوي، صعب بالنسبة لي أقعد أسجلها أو أكتبها، دي مش مهنتي وما عنديش صبر ليها، لكن دلوقتي في الوقت الحالي أنا بدي أقولها، وبشاء القدر بأنك تبقى فرد من عيلتي، تكون الظروف مهيبة ، وأحكي لها حكاياتي ، علشان تحكيها لأحفادك ويتناقلوها لأولادهم، ربما تغيبهم ويتعلموا منها حاجة، فيه بعض الصحفيين والأدباء عرضوا عليه مرات أن يسجلوا معايا قصة حياتي، لكن أنا رفضت لأنني عارف

نفسي، أنا مش في استطاعتي إني أرتب بمواعيد، واضطر أن التزم بها، وأقعد مع شخص غريب بالساعات، وأقعد أتكلم معاه، ده مش في استطاعتي، ثم إني في الوقت ده كان فكري مشغول بالموسيقى، وبالشغل، ما كانش فيه إمكانيه لذلك، لكن إنت مرأة، ابني، يعني واحدة من العيلة، مش هاختشي لو مش عاوز أتكلم ، ومتش ملتزم بمواعيد، وفي الوقت الحالي أنا فعلا ليا غرض أتكلم ، وبدي أحكي وهاكون سعيد وأنا باحكي لك قصة حياتي ، ربنا بقى هو اللي بيرتب كل شئ، هو قدر لك إنك تتجاوزي محمد، وكمان تكوني من المهتمين بالموسيقى، وعارفة الحانى ، وبتحببها كل دي ظروف ربنا هو اللي بيرتبها، أنا عملت أحاديث كتير مع صحفيين باتفاقى فيها بأسئلة شخصية فيما يخص مشوار حياتي الشخصية، مش الفنية، بل الخاصة، أنا باتفاقى بأسئلة من النوع ده ، وقتها لا تحضرني الذاكرة، يعني أنا صرحت ببعض المعلومات ، ربما أكون قد أخطأت ، لأنني باتفاقى ، لكن دلوقتي لما باتكلم معاكِ وأنا مرتاح وبمزاجي ، أكيد الذكريات والأحداث اللي مررت بيها بتكون واضحة في ذهني ومتربة وباستعيد ذكرياتي بوضوح في الوقت الحالي ، لأن ذهني صافي وخالي مما يشغله ولذلك قررت إني أرويها لك".

عندما أذكر هذه الأيام وهذه الأحداث ، وبعد ما عرفته عنه ، أشعر كان كل ما حدث هو رسالة أنا مكلفة بها، وأنها يجب أن تسجل للتاريخ، لأن مثل هذه الشخصية يجب أن تدون وتدرس فنا وشخصا، ويعلم الله أني لا أقوم بهذا العمل إلا حبا وتقديرا لهذه العبرية والشخصية الرفيعة الخلق المهيبة والبساطة المتواضعة في نفس الوقت ، فقررت أن أنقل كل ما رواه لي، وكل ما رأيته وعرفته عنه، ولكي أستطيع أن أجعل القارئ يقترب منه أكثر، ويعرف

الأسلوب الذي كان يتحدث به معي ، أدخلت الحوار إلى القصة
محاولة أن أنقل طريقته، وحديثه الجميل كما كان ي قوله هو، على
قدر استطاعتي في هذا الكتاب، ووضعت صوراً لتخيلي لهذه
الأحداث كما صورها لي، وأتمنى أن يعرف العالم من هو رياض
السباطي، ويعرف مشوار رحلته الطويلة في الحياة ، هذا الصرح
الفنى الذى لم يدانه أحد إلى الآن ، ولهذا اختارته أكبر المؤسسات
العالمية وأهمها ، وهي مؤسسة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة ،
لينال جائزة أحسن موسيقار في العالم ، وكان الموسيقار الوحيد في
مصر وفي الوطن العربي الذي نال هذه الجائزة .

ولقد استعنت ببعض الكتب التي كتبت عنه وعن تاريخه، خاصة
كتاب الكاتب الأديب صميم شريف ، واسميه السبطاني وجيل العملاقة
وهو من أفضل الكتب التي كتبت عنه ، وقد اقترب قليلاً من حياته
الشخصية ، كما أني قد استعنت أيضاً بزوجته الحنون السيدة كوكب
عبد البر زوجته ورفيقه عمره ، فقد كنت أعرف جيداً كما نصحتي
هي ، أن زوجها لا يحب كثرة الأسئلة، وكانت أشعر بالحيرة وقتها،
ونادراً ما أستطيع أن أسأله، فلابد أن يسمح لي هو بذلك ، فقد كان
يقرأ التساؤل على وجهي ، فيسمح لي وقتها بالسؤال ، أما غير ذلك
- وخاصة وهو يتحدث ويحكى قصته - كانت لا أجرؤ على مقاطعته،
فتزورني والدة زوجي بما أريد أن أعرفه ، أيضاً ساعدني زوجي
الحبيب بالكثير من المعلومات والأحداث التي لم أكن أعرفها .

كان على أن أسجل رحلة كفاحه وحياته الراخمة بالأحداث ، وهو
الذي لم يبحث يوماً عن الشهرة الإعلامية ، أو عن التكريم أو
الجوائز، ولكن عمله فرض على الدولة والمؤسسات أن تمنحه أعلى
الأوسمة والجوائز، وأهمها جائزة اليونسكو العالمية ، وهذا يكفي

ليعرف العالم كله من هو رياض السنباطي ، وأتمنى أن يتحول هذا الكتاب إلى عمل درامي ، ليكون أوسع انتشارا ، لتعرف الأجيال الجديدة على هذا الموسيقار الفذ ، ونعرف مشواره الطموح والنجاح الذي تحقق له .